إضاءات نقدية (فصلية محكّمة)
السنة الثالثة – العدد التاسع – ربيع ١٣٩٢ش/ آذار ٢٠١٣م
صص ٢٥ ـ ٩

# دراسة علم أسلوب النثر التفسيرى والعرفانى فى رسالة "شرح رباعيات جامى فى وحدة الوجود"

**أصغر دادبه***

**غلامرضا داوودى‌بور****

## الملخص

استخدمت النصوص العرفانيّة الفارسيّة المنثورة، أبسط الأدوات فى اللغة والبيان لنقل المفاهيم العميقة والصعبة. واعتُبر هذا اللون من النثر من أكثر النصوص استحسانا فى جميع العصور. والمعروف عن النصوص المنثورة لجامى فى جميع أصناف الآثار التفسيريّة والتعليميّة والعرفانيّة أنّها تمتاز بمنتهي الرقّة والحذاقة إلى جانب ما تحظي به النصوص القديمة من أدوات بيان تجعلها رصينة لغويا؛ وبطبيعة الحال، تتحلّي نصوص رسالة شرح الرباعيّات فى وحدة الوجود بجميع الميزات المذكورة.

وتناولت هذه المقالة رسالة شرح الرباعيّات فى وحدة الوجود بالبحث والتعريف بعد تسليط الضوء علي حياة جامى وآثاره. وهناك إشارة وجيزة إلى أسلوب النثر فى عصر جامى. ثم تناول المقال بالبحث والتفصيل أبرز سمات أسلوب النثر المتوارد فى الرسالة، من بينها الإيجاز، ونماذج من الأساليب القديمة، وحذف الأفعال بالقرينة، واستعمال"ئيت" المصدرية، وموضوع طرح الألفاظ المترادفة، وتطبيق الصفة مع الموصوف والاستناد بالآيات القرآنية. وفى النهاية تأتى النتيجة لتكون ختاما للبحث.

**الكلمات الدليلية:** أسلوب النثر، النثر التفسيرى العرفانى، الإيجاز، حذف الأفعال بالقرينة، تطبيق الصفة مع الموصوف، رسالة فى شرح الرباعيّات.

---

*. أستاذ بجامعة العلامة الطباطبائى وأستاذ محاضر بجامعة آزاد الإسلاميّة فى نجف آباد، إيران.
**. عضو هيئة التدريس بجامعة آزاد الإسلامية فرع علوم وتحقيقات، طهران، إيران.
Qolamreza.davoudi@yahoo.com

التنقيح والمراجعة اللغوية: د. فاطمة پرچگانى
تاريخ الوصول: ١٣٩٢/٣/٥ش تاريخ القبول: ١٣٩٢/٣/٢٥ش

**المقدمة**

ولـد مولانا نور الدين (عماد الدين) أبـو البركات عبد الرحمن بن نظام الدين أحمد بن شمس الدين محمد جامی فی ٢٣ من شـعبان سنة ٨١٧ هـق فی ضاحيةجام فی قرية خرجرد القريبة مـن هرات. يعتقد عبد الغفور لارى أنّ «لقب جامی الأصلی هو عماد الدين ولقبه المعروف نور الدين.» (مايل هروی، ١٣٧٧ش: ٣١؛ دادبه، ١٣٨٨ش)

وقد أشـار جامی فی قصيدته اللاميّة تحت عنوان "رشـح البال فی شرح الحال" التی نظمها قبل خمس سـنوات من وفاته (٨٩٣ هـق)، إلى بعض أحداث حياته من جملتها تاريخ ولادته:

به سـال هشـتصد و هفده زهجرت نبوی  كته زد ز مكه به يثرب سـرادقات جلال

زاوج قلـه پـروازگاه عـز قـدم  بدين حضيض هوان، سست كرده‌ام پر وبال

(جامی، ١٣٨٩ش: ٧٧)

_ فی سـنة ٨١٧ من الهجرة النبوية، عندما خيّمت سـرادقات الجلال من مكة إلى يثرب

_ خفّفت أجنحتی لأهبط من قمّة مكان التحليق إلى هذا المكان الحضيض

كان نظـام الدين أحمد، والد عبد الرحمن جامی من مشـاهير رجال العلم والتقوي فی زمانه وهو من حیّ فی أصفهان. غادر إلى خراسـان أثناء هجوم الأتراک وعاش فی خردجرد.

ويبـدو من الأبيات التی نظمها جامـی أنّه تلقّي العلوم الأوّليّـة كالقرآن والحديث وسائر العلوم علي يد والده فی خردجرد ومضمونها:

_ فی ذلک العهد الذی لم تصل قوة الإدراک عندی لكی أميّز بين الحق والباطل.

_ قدّر لی أن أتربّی فی أحضان أم حنون وأكون فی رعاية أب مشفق صاحب خصال حميدة.

_ وأودعنی الزمن إلى معلّم تحلّي طبعی من عقله بأرقي العقال.

_ وملأ روحی فی أرض المواهب ببذور العلم وفضل الكمال.

_ بدء بباء بسم الله وحتی ختم سين الناس تلقّيت العلوم.

_ وتعلّمت قواعد الإعراب من النحويّين وسمعت ضوابط الإعلال من الصرفيّين.
_ ولفهم الرياضيّات وضعت بدائع الأشكال فى صورة المعنى.
_ ومن علم الفقه وأصوله علمت حكم ما هو حلال وما هو حرام.
_ وعندما جاهدت فى سرائر القرآن رأيت بأنّه غير جائز إهماله.
_ وتبيّن لى من رواة الحديث، سنّة النبى وطريقة الصحابة وسيرة آل البيت.
(جامى، نفس المصدر: ٧٧-٧٨)

ثمّ انتقل جامى إلى المراكز العلميّة المعروفة فى تلك الفترة، منها هرات وسمرقند حاضرتى العلم والأدب والفنّ فى عصره وتلقّي العلوم الأدبيّة والكلاميّة فى محضر الأستاذ شهاب الدين محمد جاجرمى وخواجه على السمرقندى ومن ثم غادر إلى سمرقند وقام بالبحث والحوار مع أستاذه قاضى زاده الرومى خلال تلقّيه علم الهيئة. كما انتقد آراء أستاذه وقام بإصلاح بعضها. (صفى، ١٣٥٦ش: ج١: ٢٣٧-٢٣٨) وللاطّلاع علي المزيد من رحلات جامى يمكن الرجوع إلى مقالة للدكتور أصغر دادبه فى دائرة المعارف الإسلامية، موضوعها جامى.

إنّ من أهمّ الأسباب التى أدّت إلى انخراط جامى فى سلك التصوّف وانضمامه إلى الطريقة النقشبنديّة، الرؤية التى رآها جامى فى منامه، حيث رأي جامى سعد الدين الكاشغرى وهو أحد مشايخ التصوّف آنذاك، فى منامه وأصبح أحد مريديه فيما بعد. وبعد وفاة الأخير تقرّب جامى إلى خواجه عبيد الله الأحرار وأصبح أحد مريديه لفترة طويلة. وقد انعكست سلوك وأفكار محيى الدين بن عربى المؤثرة فى شخصيّة عبيد الله الأحرار فى آثار جامى. (أفصح زاد، ١٣٧٨ش: ١٣٢)

توفّى جامى فى ١٧ من محرّم سنة ٨٩٨ق إثر مرض ألمّ به دام أربعة أيام. وقد شارك فى تشييع جثمانه السلطان حسين بايقرا وأمير على نوائى وعدد غفير من العلماء وسائر أطياف المجتمع. وقد دفن جامى فى هرات بالقرب من مرقد الشيخ سعد الدين الكاشغرى. (نظامى باخرزى، ١٣٧١ش: ٢٥٥؛ ميل هروى، ١٣٧٧ش: ١٦)

كان «جامى من أتباع المذهب السنّى والمذهب الحنفى بالتحديد، ويمكن أن يكون هذا أحد أسباب ميله إلى الطريقة النقشبنديّة.» (صفا، ١٣٦٨ش، ج٤: ٣٥٤)

يعتقد بعض المحقّقين أنّ «جامى كان كثير التعصّب بالمذهب الذى ينتمى إليه ولم يكن من أهل التساهل والرفقة مع أتباع سائر المذاهب لاسيّما الشيعة وربما هذا الأمر أثار سخط أهالى بغداد والحلّة وهرات علي جامى وفتح لهم باب الانتقاد ضدّه.» (نظامى باخرزى، ۱۳۷۱ش: ۱۳)

## نتاجات جامى

بما أن جامى ترک آثارا متعدّدة لما كان يتمتّع به من علوم جمّة ومطالعات موسّعة، فيمكن تصنيف تلک الآثار فى ثلاثة أجزاء وهى العلوم الأدبيّة والعلوم النقليّة والعلوم العقليّة.

## الآثار الأدبية

_ بهارستان (موطن الربيع) وهو كتاب منثور يضمّ مجموعة من الأشعار وهو محاكاة بارعة قلّد فيها الشاعر سعدى فى كتابة كلستان (بستان الورود).

_ المنشآت وهو يشمل رسائل كتبها جامى لشخصيّات مختلفة عاصرها.

_ هفت أورنک (العروش السبعة)؛ يشمل سلسلة الذهب، سلامان وأبسال، تحفة الأحرار، سبحة الأبرار، يوسف وزليخا، ليلى ومجنون وخردنامة إسكندرى.

يذكر أنّ مضامين هفت أورنک التى جاءت علي نسق المثنوى، أخلاقيّة وعرفانيّة وغزليّة. كما أنّ تأثير نظامى كنجوى وأمير خسرو دهلوى واضح وجلىّ فيها لكلّ متلقّ وأديب؛ وجامى نفسه يعترف بهذا التأثير:

_ إنّ المثنويّات القديمة بقيت ذكري تخلّد الراحلين.

_ ونظامى الذى هو أستاذ هذا الفنّ، يبدو كالشمعة الواقدة فى هذا الحفل.

_ ظهر من أنقاض كنجه وأصبح كاشفا للكنز حيث أوصل كنوز الفنّ إلى خمسة.

.....

(جامى، هفت اورنک، ۱۳۸۹ش: ۹۲۷-۹۲۸)

يشمل ديوان جامى قصائد فى الغزل والرثاء ومقطوعات علي نسق الرباعى والمثنوى والأسلوب المسمّي بـ"ترجيع بند". قسّمه إلى ثلاثة أقسام بإشارة من أمير على شير

نوائى ودعاها: فاتحة الشباب، واسطة العقد وخاتمة الحياة. «يشمل الجزء الأوّل أشعارا نظمها جامى فى فترة شبابه، والجزء الثانى يشمل أشعاره التى نظمها فى أواسط حياته، والجزء الأخير نظمها فى نهايات عمره.» (حكمت، ١٣٨٦ش: ٢٠٩)

**العلوم النقليّة**

**الف) العلوم اللغويّة والبلاغيّة**

_ تجنيس اللغات وهى منظومة فى باب اللغات العربيّة يمكن تصحيفها بسهولة.

_ الصرف الفارسى المنظوم والمنثور وهو يبحث قواعد الصرف العربى باللغة الفارسيّة.

_ الفوائد الضيائية فى شرح الكافية (شرح جامى) فى النحو العربى.

_ رسالة فى العروض.

_ رسالة فى القافية.

_ رسالة كبيرة فى الألغاز (حلية الحلل) وهو ملخّص عن كتاب الحلل المطرّزة فى الألغاز والأحجيات.

_ رسالة متوسّطة فى الألغاز.

_ رسالة صغيرة فى الألغاز.

_ رسالة المنظومة الصغري فى الألغاز.

**ب) العلوم القرآنيّة وعلم الحديث والسيرة والمناقب**

_ تفسير لبعض سور القرآن الكريم منها البقرة حتى الآية ﴿وإيّاى فارهبون﴾ (البقرة: ٣٨)

_ الأربعون حديثا، ترجمة الأربعين حديثا. وترجمت هذه الأحاديث ضمن رباعيّات فارسيّة.

_ شواهد النبوّة فى بيان السيرة النبويّة وشرح أحوال التابعين وحتى الصدر الأوّل للمتصوّفين.

_ نفحات الأنس فى ترجمة حياة ٦٠٦ صوفيّا من كبار الصوفيّين فى صدر الإسلام.

_ مناقب خواجه عبد الله الأنصارى.

_ مناقب مولوى التى لم يبق منهأىّ أثر.
_ اعتقاد نامة فى العقائد وهو مثنوى قصير بنزعة صوفيّة فى بيان الأصول الإسلاميّة.
_ رسالة مناسک الحجّ فى بيان ركائز الحجّ.
_ رسالة سلوک الصوفيّين.
_ رسالة لا إله إلا الله "رسالة تهليليّة".

**العلوم العقليّة**

_ رسالة فى الموسيقي وهى رسالة فنّيّة تقوم بشرح الأدوات الموسيقيّة والألحان والأنغام الموسيقيّة.
_ أشعّة اللمعات فى شرح لمعات فخر الدين العراقى.
_ شرح بيت لخسرو دهلوى:
ز دريای شهادت چون نهنگ "لا" بر آرد سر تيمم فرض گردد نوح را در وقت طوفانش
_ من بحر الشهادة، عندما يهتف الحوت بـ"لا" وجب التيمّم لنوح فى وقت العاصفة.
_ شرح حديث لأبى رزين العقيلى (شرح أحاديث العلماء).
_ شرح رباعيّات فى وحدة الوجود وهو موضوع هذا البحث وسنتناوله بالتفصيل لاحقا.
_ شرح بعض أبيات القصيدة التائيّة لابن الفارض.
_ شرح فصوص الحكم باللغة العربيّة.
_ شرح مقاطع من مفاتيح الغيب بالنظم والنثر.
_ شرح بيتين من قصيدة النای نامة أو الرسالة النائية.
_ اللوايح وهى رسالة مبدعة وفيها عدّة مواضيع من المواضيع الرئيسيّة لمذهب ابن عربى وجاءت نصوصها بالنثر الفارسى المرسل.
_ اللوامع فى شرح القصيدة الميميّة المعروفة بالخمريّة.
_ رسالة فى الوجود (الوجوديّة) باللغة العربيّة.
_ حديث خواجه بارسا (الحاشية القدسيّة) باللغتين الفارسيّة والعربيّة.
_ رسالة جواب لسؤال من الهند (رسالة سؤال وجواب من الهند) وهذه الرسالة

غير موجودة حاليّا.

_ رسالة منظومة لم يعثر عليها.

_ نقد النصوص فى شرح الفصوص باللغتين العربيّة والفارسيّة.

_ رسالة فى دراسة مذهب رجال التصوّف والمتكلّمين والحكماء "الدرّة الفاخرة" باللغة العربيّة

(حكمت، ١٣٨٦ش: ١٦٦-٢١٣؛ دادبه، ١٣٨٨ش؛ جامى، ١٣٨١ش: ١٦- ٢٨)

استخدمت النصوص العرفانيّة الفارسيّة المنثورة، أبسط الأدوات فى اللغة والبيان لنقل المفاهيم الباطنيّة والصعبة. واعتُبر هذا اللون من النثر من أكثر النصوص استحسانا فى جميع العصور. والمعروف عن النصوص المنثورة لجامى فى جميع أصناف الآثار التفسيريّة والتعليميّة والعرفانيّة أنّها تمتاز بمنتهي الرقّة والحذاقة إلى جانب ما تحظي به النصوص القديمة من أدوات بيان تجعلها رصينة لغويّا، كما أنّ نصوص رسالة شرح الرباعيّات فى وحدة الوجود تتحلّي بدورها بجميع الميزات المذكورة.

## رسالة فى شرح رباعيّات جامى فى وحدة الوجود

أخذت كتابة الشروح والهوامش علي الآثار المختلفة باللغة الفارسيّة آفاقا واسعة فى جميع المجالات العلميّة والأدبيّة لما شهدته الثقافة من تطوير وتعميم فى القرنين التاسع والعاشر الهجريّين. وقد أدّت هجمات المغول والأتراك خلال ثلاثة قرون متوالية، إلى هدم عدد كبير من المدن وإلحاق الدمار بمراكز العلم والعرفان وتشريد العلماء وتفرّقهم فى البلاد. ولم يتمتّع علماء العصر الحديث بظروف مساعدة لإبداء الآراء والتحلّى بروح الإبداع كما كان يتمتّع به العلماء فى العهود السابقة، ومن جانب آخر فإنّ التشتّت الحاصل فى المراكز العلميّة أدّي إلى انحسار دائرة المخاطبين بشكل ملحوظ ومن هذا المنطلق، قام العلماء بتلخيص وكتابة شروح وتعليقات علي آراء وأفكار المتقدّمين من العلماء والمشاهير ونظموا أشعارا لتلك الآثار. تشهد الكتب التاريخيّة وكتابات السير والتراجم بهذا الواقع، مشيرة إلى انتشار هذا الأسلوب من الكتابة فى جميع المراكز العلميّة والتعليميّة المختلفة.

حاول جامى أحد أبرز الشخصيّات العرفانيّة فى الأدب العرفانى، أن يقوم بشرح

المعـانى العرفانيّة الغامضة والعميقة من خلال تأليفاته الواسـعة التى أشـرنا إليها آنفا. تعتبر رباعيّات جامى التى بلغت سـتة وأربعين، من أهمّ تأليفاته ويعدّها البعض سـبّاقة فى شـرح المضامين العرفانيّة. وقد توصّل جامى فيما بعد إلى أنّ الوزن والقوافى ضيّقت عليه الميدان لشـرح وتبيين بعض المضامين والمفاهيم، فرأي من الضرورة، القيام بكتابة شـرح وتعليق علي رباعيّاته لكى يفى بالغرض المطلوب. وحسب قوله: يشرح الإجمال بالتفصيـل. وبالاقتباس مـن أقوال مشـايخ الصوفيّة وتأليفاتهم، قام بشـرحالمضامين الصعبـة فى هـذه المباحث الأصوليّة مـن التعاليم العرفانيّة: «قبل إعـداد هذا الكتاب المشهور بالمضامين وإظهار صفحاته الجليلة بالمفاهيم، تمّ نظم رباعيّات فى إثبات وحدة الوجود وبيان تنزيله فى مراتب الشهود مع التنبيه علي كيفيّة إدراكه علي سبيل الكشف والعرفـان والوصول إليه بطريق الذوق والوجدان، ولكن بما أنّ سـاحة العبارات بدت ضيّقة خلال الترجمة مراعاة للقافية وأسلوب البيان أصيب بشلل فى التعبير حفاظا علي الوزن، فقد فقدت المعانى جمالها لتسـترها خلف نقاب الإجمال ولم تظهر الحقائق خلف حجاب التنوّع المعيب، فلابدّ من تسـطير كلام منثور وكتابة شـرح مفهوم علي هامش الرباعيّات لتفصيل المجملات وتبيين المشـكلات يضمن اقتباسـات من أقوال مشاهير الدين والعرفان من أهل اليقين والإيمان.» (جامى، شرح رباعيات، ١٣٩١ش: ب)

وتابع جامى فى هذه الرسـالة أسلوبا معتدلاً متمثّلاً فى كتابة النثر المرسل، مبنيّة علي رؤية محيى الدين بن عربى فى إثبات الوجود وبيان تنزيله فى مراتب الشهود محاولة منه لتبيين المفاهيم لأنّه قصد فيها التعليم والتوجيه علي وجه الخصوص.

## أسلوب كتابة النثر فى عهد جامى

يعتقد غالبيّة المحقّقين أنّ هذه الفترة شهدت ضعفا فى كتابة النثر واضطرابا فى أسلوبه مقارنة بالفترات السابقة. ومن أهمّ سمات أسلوب النثر فى هذه الفترة، تطبيق الصفة مع الموصوف وفق القواعد العربيّة واسـتخدام المفردات والتعابير العربيّة وتحويل الألفاظ الفارسـيّة إلى الألفـاظ التركيّة. والموضوع الآخر هو اسـتخدام الألقـاب والعناوين والإطنـاب فى الحديث عن الممدوح الذى كان يـأتى فى مقدّمة الفصول والتى تحوّل فى عهد المغول إلى الإيجاز، نجد بأن هذا أسـلوب رجع إلى سابق العهد فى كتابة النثر لدي

الكتّـاب والناثرين وأعطي الإيجاز دوره إلى الإطناب مجدّدا. وقلّ اسـتخدام الألفاظ العربيّة والشـعر والاستدلال والتمثيل فى هذا العصر مقارنة بالسابق. وأصبحت الكتابة تميـل إلى الضعف والركاكة وقلّـت فيها الدقّة فى المواضيع الصرفيّـة والنحويّة وأعطت مكانها إلى الفوضي فى التعبير والأخطاء فى الكتابة. (بهار، ١٣٦٩ش، ج٣: ٢٠٨-٢١٠؛ شميسا، ١٣٧٦ش: ٢٠٧-٢٠٨)

## أسلوب النثر فى رسالة شرح رباعيّات جامى

رغم كلّ ما أشـير إليه، «فإن الأسـلوب الذى انتهجه جامى فى كتابة النثر فى آثاره المختلفة من بينها شـرح الرباعيّات، كان بسـيطا وسلسا رغم تأثيره بالأجواء السائدة علي الكتابة فى هذه الفترة. وبما أنّ الكاتب عالم جامع لعلوم شتّـى، امتاز نثره بالرصانة والثراء من حيث المضمون والمعنى. وهو كاتب اسـتطاع متابعة أسلوب القدامي فى عهد شهد الشعر والأدب الفارسى فيه انحطاطا ملموسا. وسجّل جامى آثارا امتازت بكتابة نثر سـلس يخلو من الأخطاء الشائعة آنذاك مقترنة بمعلومات واسعة تعكس فى طيّاتها تراث الحضارة الإسـلاميّة الإيرانيّة. وقد وصل فى بعـض الأحيان إلى مرتبة الناثرين القدامي. وفى جميع الحالات وحتّى فى بعض المواطن التى أراد احتذاء الكتابات النثريّة الفارسـيّة المتصنّعة، حاول الالتزام بالنثر السـلس والابتعاد عـن التكلّف والتصنّع فى الكتابة.» (صفا، ١٣٤٨ش، ج٦: ٦٥)

## الإيجاز

رغـم أنّ غالبيّـة الكتّـاب فى هذه الفترة كانوا أشـدّ ميلاً ورغبة فى اسـتخدام نمط الإطنـاب المملّ وتطويل الكلام المخـّل، إلاّ أنّ العبارات النثريّة فى آثار جامى جاءت قصيرة ومتناسـبة ومنتظمة وخالية من العيوب المرذولة الناتجة عن الإطناب. وجميع ما جاء فى هذه الرسالة من البداية وحتى النهاية يؤيّد هذا المعنى:

«... إذا ما أضيء جرم القمر أمام الشـمس بالشـعاع، وفى هذه المرتبة يكون هناك ثلاثة عناصر: الأول القمر، الثانى الشعاع، والثالث الشمس وهو العنصر المفيد للشعاع.» (جامى، ١٣٩١ش: شرح الرباعى ٤)

«والفرقــة الثانية من الصوفيّة المعتقدين بوحدة الوجود يقولون: إنّ وراء طور العقل طور آخر، ينكشف فيه الطور عن طريق المكاشفة ومشاهدة عدّة أشياء يعجز العقل عن إدراكها.» (نفس المصدر: شرح الرباعى ٦)

«إذن عليک مشاهدة الربّ– سبحانه– مشاهدة جليّة أكثر من غيره ولا تقل لا أري وإذا كنت تعرف وتري غير ذلک ســيكون مثلک كمن يقول وهو فى الروضة: إنّى أري الورق ولا أري الروضة ما يكون مثيرا للضحک.» (نفس المصدر: شرح الرباعى ٨)

«إنّ مجموع هذه المراتب أصبحت خمس مراتب والمرتبة السادسة هى مرتبة جامعة وجميع تلک المراتب إلى جانب هذه المرتبة تشــكّل الإنسان الكامل؛ لأنّه جامع الجميع وذلک بحكم البرزخيّة التى يتمتّع به.» (نفس المصدر: شرح الرباعى ١٤)

«الإيجاد عبارة عن استتار وجود الحقّ– سبحانه – بصورة الأعيان الثابتة وماهيّاته وانصباغه بأحكامه وآثاره.» (نفس المصدر: شرح الرباعى ٢٢)

«ومن العبارات والمصطلحات المستخدمة عند سلالة النقشبنديّة قدس الله أرواحهم : ذكر، رجع، حفظ، اســتذكر، وذكر عبارة عن الذكر اللســانى والذكر القلبى....» (نفس المصدر: شرح الرباعى ٤٦)

رغــم أن «الكتابــة النثريّة فى هذه الفترة لم تتمتّع بســمات النمــاذج النثريّة القديمة وتفتقد لتلک الجماليّة والانتظام والتماسک والقوّة إلا أنّ هناک نماذج من أساليب النثر القديم يمكن مشــاهدتها فى آثــار جامى لمعرفته بألوان النثر الفارســىّ القديم. من بينها استخدام تعبير "مر... را"وهو وجه من وجوه الكتابات القديمة فى النثر.» (نفس المصدر: شرح الرباعى ١٣)

«چنانكه مرتبه حس وشــهادت مثلاً مرتبه‌اى است كلى، شامل مرجميع محسوسات جزويه متعينه را ....» (نفس المصدر: شرح الرباعى ١٣)

_ إذا كانت مرتبة الحسّ والشهادة مرتبة كلّيّة تشمل جميع المحسوسات الجزئيّة المتعيّنة....

«.... واين مرتبه وجود اســت مر اشــياى كونيه مركبه لطيفه را....» (نفس المصدر: شرح الرباعى ١٤)

_ وهذه مرتبة الوجود للأشياء الكونيّة المركّبة اللطيفة....

«بلكــه او عين قابليت ذات اســت، مر بطون و ظهور و ازليــت و ابديت و انتفاى

اعتبارات واثبات آن را و مر این وحدت را دو اعتبار است.» (نفس المصدر: شرح الرباعى ٢١)

_ ولكنّه عين الجوهر كالبواطن والمظاهر والأزليّة والأبديّة وإبعاد الاعتبارات وإثباتها ولهذه الوحدة اعتباران.

«زیرا که همه صور عملیه‌اند که تحقق و ثبوت نیست مر ایشان را در غیر ذات عالم بدیشان.» (نفس المصدر: شرح الرباعى ٢٣)

_ ذلک بأنّ جميع الصور بحكم العملىّ ولا يمكن تحقيقها وإثباتها فى غير ذات العالم.

«پیدا کردن واحد به تکرار خویش اعداد را، مثالی است مر پیدا کردن حق، خلق را به ظهور خویش در صور کونیّه.» (نفس المصدر: شرح الرباعى ٣٧ و ٣٨)

_ إنّ العثور علي الواحد بتكرار الأعداد يشبه الوصول إلى الحقّ من الخلق حين يظهر بالصور الكونيّة.

ومن جملة خصائص النثر الفارسى فى فترة ما قبل جامى، تقديم الأفعال والخبر وهذه الميزة تظهر بشكل ملحوظ فى الرسالة:

«ومر او راست وجوب ذاتى وقدم و امثال آن از صفات كمال.» (نفس المصدر: شرح الرباعى ٧)

-وله الوجوب الذاتى والقدم وأمثاله من الصفات الكمالية.

«و این ممتنع است مر غیر حق را-سبحانه-.» (نفس المصدر: الرباعى ١١)

-وممتنع كلّ ما هو غير الحقّ سبحانه

«وممكن نيست تعيّن و ظهور آن دفعة بل بالتدريج.» (نفس المصدر: شرح الرباعى ١٢)

_ ومن غير الممكن تعيّنه وظهوره فجأة بل يحصل ذلک تدريجيًّا.

«وجودی نیست متمیّز از وجود امور متعینه مترتّبه در ایشان.» (نفس المصدر: شرح الرباعى ١٣)

_ وليس هناک وجود مميّز من وجود الأمور المتعيّنة والمترتّبة فيه.

«نمود کثرت مانع نیاید شهود وحدت را و شهود وحدت مزاحم نگردد نمود کثرت را.» (نفس المصدر: شرح الرباعى ٢٠)

_ ظاهر الكثرة لا يمنع من شهود الوحدة وشهود الوحدة لا يعرقل مظاهر الكثرة.

**حذف الفعل بالقرينة**

إنّ أحد الإشكاليّات المكرّرة في النثر الفارسي في هذه الفترة، حذف الفعل دون قرينة (وهذا الأسلوب متداول في النثر الفارسي) ولكن في آثار جامي قلّما نشاهد حذف الفعل بدون أن تقابلها أيّ قرينة وإذا ما كان هناك حذف إنّه يتم علي الوجه الصحيح ولا يخلّ لا ببناء النثر ولا بالمعنى بل يضفي إليه جمالا وإيجازا:

«خواه آن غير را وجود گويند وخواه موجد» (نفس المصدر: شرح الرباعي ٥)

الشاهد هنا حذف الفعل "گويند"

_ سواء أطلقوا علي الغير الوجود أم الموجد.

«به حجاب عزت محتجب است وبه رداى كبريا مختفى.» (نفس المصدر: شرح الرباعي ١١)

الشاهد هنا حذف الفعل "است"

_ محتجب بحجاب العزّة ومختف برداء الكبرياء.

«حكم ايمان و كفر راجع به اوست وتفاضل ميان ارباب معرفت به تفاوت مراتب او.» (نفس المصدر: شرح الرباعي ١١)

الشاهد هنا حذف الفعل "است"

_ حكم الإيمان والكفر يرجع إليه وتفاضل أصحاب المعرفة يعود إلى اختلاف مراتبه.

«خواه آن فاعل مختار باشد وخواه موجب.» (نفس المصدر: شرح الرباعي ١٧)

الشاهد هنا حذف الفعل "باشد"

_ سواء كان فاعله مختارا أم موجبا.

«حق را _ سبحانه و تعالى _ ظاهر بيند و خلق را باطن.» (نفس المصدر: شرح الرباعي ٢٠)

الشاهد هنا حذف الفعل "بيند"

_ يري الحقّ سبحانه وتعالى في الظاهر والخلق في الباطن.

**استخدام "ئيت" المصدرية**

مثل نورانيت (النورانيّة) ، وأكمليت (الأكمليّة)، ومبدأيت (المبدأيّة)، وبرزخيت

(البرزخيّة)، ومعلوميت (المعلوميّة)، ومجعوليت ومرآتيت و....

### استعمال الألفاظ والتعابير العربيّة

الملاحظ فى آثارجامى النثرية، استخدامه للألفاظ والتعابير العربيّة، فهى أكثر استعمالاً مقارنة بسائر الكتابات النثريّة فى هذه الفترة. وهذا الأمر يرجع إلى سببين: الأول، الموضوع الذى يتطرّق إليه جامى ما يتطلّب استخدام تعابير عربيّة، والسبب الآخر، يعود إلى سابقة تأثير النثر العربى فى النثر الفارسى ابتداء من القرن السادس واستمرارا حتّى عصر جامى والذى أخذ يتزايد شيئًا فشيئًا فى هذه الفترات.

وأكثر الألفاظ والتعابير العربيّة فى الرسالة يتعلّق بالموضوع العرفانى ووحدة الوجود علي وجه التحديد، وبعض المصطلحات المتداولة فى هذه الفترة بين العلماء والعرفاء مثل: فكيف، وفى نفس الأمر، وأخص، وأعم، وعلي الدوام، وممتنع الحصول، وتمييز ما عدا، وكلاهما محال، ومندمج، ومنمحى، واندماج، وثوب مصبوغ، وبين الظهورين، وفى نفس الأمر، ولا شك، وما به الامتياز، وكما لا يخفي، و....

### إيراد المترادفات

إنّ أحد الأسباب التى أدّت إلى الإطناب والإكثار فى الكلام، الإتيان بالكلمات المترادفة غير الضروريّة ما أدّي ذلک إلى الإحساس بالملل، ولكن فى نصوص جامى النثريّة ولاسيّما الرسالة قلّما وردت الكلمات المترادفة، ما لا يمكن اعتبارها ميزة من ميزات أسلوبه فى كتابة النصوص النثريّة.

### تطبيق الصفة مع الموصوف

كان هذا الأسلوب رائجا فى نصوص عصر بيهقى وكذلک عصر جامى وما بعده. وقد انعكس هذا الأسلوب فى كتابات جامى النثريّة بشكل بارز، يمكن الإشارة إلى بعضها: صوفيّة موحّدة، معانى المصدريّة، اكمل مراتب، فطرة سليمة، براهين العقليّة، أمور متكثّرة، أرباب علوم عقليّة، صوفيّة قائلين، شخصيّة جزوية، متوسّطة بينهما، صور علميّة، أعيان ثابتة، حقيقتين مذكورتين، رحمت كاملة، رأفت شاملة، مرائى مكونات، حقيقت علمية، متعيّنة مترتّبة، محسوسات جزويّة متعيّنة، حروف عاليات، تفاصيل

خصوصيـــات، لوازم ماهيات، مظاهـــر مقيّدة، حيثيّتين مذكورتـــين، تعيّنات كليّة، صور علميّة و....ما يعتبر خلافا لقياس قواعد اللغة الفارسيّة.

**الاستناد بالآيات القرآنيّة**

﴿وعلّمک ما لم تكن تعلم﴾ (النساء: ١١٣)

(جامی، ١٣٩١ش:شرح الرباعی الف)

﴿رفيع الدرجات ذو العرش﴾ (الغافر: ١٥)

(نفس المصدر: شرح الرباعی ٧)

﴿ولا يحيطون به علما﴾ (طه: ٢٩)

(نفس المصدر: شرح الرباعی ٨)

﴿ويحذركم الله نفسه والله رئوف بالعباد﴾ (آل عمران: ٢٩)

(نفس المصدر: شرح الرباعی ١١)

﴿ولله المثل الأعلي﴾ (النحل: ٦٠)

(نفس المصدر: شرح الرباعی ٢٢)

﴿إن الله لغنيّ عن العالمين﴾ (العنكبوت: ٦)

(نفس المصدر: شرح الرباعی٢٥)

﴿أولا يذكر الإنسان أنّا خلقناه من قبل ولم يک شيئا﴾ (مريم: ٦٧)

(نفس المصدر: شرح الرباعی ٣٠)

﴿ما عندكم ينفد وما عند الله باق﴾ (النحل: ٩٦)

(نفس المصدر: شرح الرباعی ٣٠)

﴿وما خلقت الجنّ والإنس إلاّ ليعبدون﴾ (الذاريات: ٥٦)

(نفس المصدر: شرح الرباعی ٤١)

﴿ لا إله إلا الله﴾ (الصافّات: ٣٥)

(نفس المصدر: شرح الرباعی ٤٤)

﴿كلّ يوم هو فی شأن﴾ (الرحمن: ٢٩)

(نفس المصدر: شرح الرباعى ٤٤)

﴿ونحن أقرب إليه من حبل الوريد﴾ (ق: ١٦)

(نفس المصدر: شرح الرباعى ٤٦)

**النتيجة**

يعتبر شرح رباعيّات جامى أحد أبرز النماذج فى النثر التعليمى الصوفى وقد جعلت البساطة والقوة والانسجام والسلاسة فى نثر الرسالة إحدي أفصح نماذج النثر العرفانىّ الفارسىّ. وأهمّيّة الشرح يبرز فى أنّ موضوع وحدة الوجود الذى انعكس فى آراء ابن عربى وابن الفارض والشارحين البارزين لهما كصدر الدين القونيوى، داوود القيصرى، مؤيّد الدين الجندى، والكاشانى جاءت بالعربيّة ما يجعل هذا الأثر يعتبر من أهمّ الشروح فى وحدة الوجود. وحاول جامى فى هذه الرسالة شرح بعض المصطلحات الصعبة فى وحدة الوجود بلغة سهلة وصريحية وتعليمية. من بين هذه المصطلحات الصعبة: وجود واجب، التعيّن، الأعيان الثابتة، التجلّى، مراتب الوجود، الكلّى، علم الحقّ تعالى، عدم تعلّق العلم بذات الحقّ، المراتب الكلّيّة، ذو العين، ذوالعقل وهما فى مرتبة لا تعيّن، الإيجاد، الكمال الذاتى، الكمال الصفاتى، حقائق الأشياء، القضاء والقدر، سرّ القدر، النور، نور وجود الحقّ، واحد، أحد، ..... (أنظر الأقسام المختلفة من نص الرسالة)

يحظي نصّ الرسالة بنثر جذاب وجمل متناسبة ما يجعل قراءتها سهلة وفهمها قريبة للأذهان حتى للمبتدئين ومن ليس له صلة بالتصوّف.

يمكن اعتبار عصر جامى أحد عصور إحياء العرفان النظرى. وفى هذه الفترة أصبح العرفان مدرسة وقد دعم بلاط التيموريّين الدروس التى كانت تلقي فى تلك المدرسة. وقد خطي جامى خطوة إيجابيّة فى سبيل اعتلاء مبانى العرفان النظرى بفضل علمه الواسع لاسيما وحدة الوجود بعد ما واجه وجوها من الكتابات السطحيّة فى النثر تشوّهت ملامحها وضعف تأثيرها. وكان له دور المفسّر والشارح. وهناك آثار متعدّدة مثل شرح القصيدة التائيّة، شرح بيتين من المثنوى، شرح بيت لخسروه دهلوى، شرح مفاتيح الغيب، شرح فصوص الحكم، شرح الحديث، شرح الرباعيات. تمتاز شروح جامى بالدقّة والصراحة والسهولة فى البيان وهى خصائص تفتقدها سائر الشروح فى

عصره، بهذا المعنى أنّ سائر الشروح إمّا صعبة ومغلقة المعانى والمفاهيم ونادرة فى نفس الوقت وإمّا سطحيّة تفتقد للقيمة النثريّة بينما شروح جامى تخلو من هذه العيوب.

أثّرت شـروح جامى فى سائر الشـروح التى ظهرت بعده وساعدت فى رفع الإبهام والإشـكالات الموجودة فى الشـروح الغامضة والمصطلحات العرفانيّة الصعبة فى وحدة الوجود. وهنا يمكن الإشـارة إلى بعض الأسـاتذة الذين لجأوا إلى آثار جامى فى شرح وحلّ غوامض عرفان النظرى كملاصدرا، ملا محسـن فيضى الكاشانى، ملا عبد الرزاق اللاهيجى، ملا على نورى، آقا على مدرسى، ميرزا جلوة، حكيم السبزوارى، آقا محمد رضا قمشه‌اى، وغيرهم من الأساتذة. (جامى، ١٣٨١ش: ٢٩)

امتازت الكتابات النثريّة فى آثار جامى من بينها رسـالة شرح الرباعيّات فى وحدة الوجود بأهمّ خصائص النثر الفارسى القويم فى فترة شهد النثر الفارسى انحطاطا وضعفًا فى الأسـلوب، وفى آثاره يواجه القارئ نثرا يتبع أسـلوب الإيجاز يتحاشـي الإطناب والإكثار المملّ، ما هو كان رائجا فى ذلک العصر.

ومن أبرز الأساليب المطلوبة والمستحسنة فى النثر الفارسى القديم، استعمال أساليب نثريّـة تزيد العبارات جمالا مثل "مر.... را" وتقديم الأفعال التى كثيرا ما نشـاهدها فى نثر هذه الرسالة.

وفى الفترة التى قام أكثر الكتّاب باسـتخدام أسـلوب يتمّ فيـه حذف الأفعال علي الطريقة الخاطئة ما كان يسـبّب ذلک ضعفا فى بناء العبارة الفارسيّة، عكف جامى علي اسـتخدام هذا الأسـلوب بشـكله المطلوب والصحيح ما أضفي لكتاباته النثرية جمالا بسـبب الإيجاز فى سياق العبارات والصراحة فى التعبير. وبطبيعة الحال فقد تأثّر جامى بأجواء زمانه فى اسـتخدام "ئيت" المصدريـة و"الألفاظ والتعابير العربيّة" التى غالبًا ما تكون متناسـبة ومنسجمة مع مضمون الرسالة، وأيضا "استخدام المصطلحات العرفانيّة لوحدة الوجود". كما أنّ أحد المسـاوئ الرائجة فى النثر الفارسـى فى هذه الفترة وهو تتابع المترادفات المتكررة والمملّة، لا أثر لها فى هذه الرسالة.

ومـن جملة خصائص النثر فى هذه الفترة عمومـا وكتابات جامى النثريّة خصوصا، تطبيق الصفة مع الموصوف والاسـتناد بالآيات القرآنيّة المتناسبة مع المضامين العرفانيّة وهى أساليب استعملها جامى بأحسن شكل.

## المصادر والمراجع

القرآن المجيد.

أفصح زاد، أعلاخان. (۱۳۷۸ش). نقد و بحث آثار جامی وشرح أحواله. طهران: مكتب نشر التراث المكتوب.

بهار، محمّد تقی. (۱۳٦۹ش). علم الأساليب. طهران: أميركبير.

جامی، عبدالرّحمن. (۱۳۸۱ش). نقد النّصوص فی شرح نقش الفصوص. تصحيح ويليام جيتيک. طهران: مؤسسة الحكمة والفلسفة الإيرانية للأبحاث.

ـــــــ (۱۳۸۹ش). ديوان. تصحيح محمد روشن. طهران: نگاه.

ـــــــ (۱۳۸۹ش). مثنوی هفت أورنگ. تصحيح مرتضی مدرس الگيلانی. طهران: مهتاب.

حكمت، علی أصغر. (۱۳۸٦ش). جامی. طهران: توس.

دادبه، أصغر. (۱۳۸۸ش). "جامی". دائرة المعارف الإسلاميّة الكبيرة. ج۱۷. رقم المقالة ٦۳۸۷.

داوودی پور، غلامرضا. (۱۳۹۱ش). «*تصحيح شرح رباعيّات جامی فی وحدةالوجود*». رسالة دكتوراه. بإشراف الأستاذ الدكتور أصغر دادبه. جامعة آزاد الإسلاميّة، فرع نجف آباد.

شمسيا، سيروس. (۱۳۷٦ش). علم الأساليب النثرية. طهران: ميترا.

صفا، ذبيح الله. (۱۳٦۸ش). تاريخ ادبيات در ايران. ج ٤. طهران: دار نشر فردوسی.

ـــــــ (۱۳٦۳ش). گنجينه سخن. ستة مجلدات. طهران: جامعة طهران.

صفی، فخرالدّين علی كاشفی. (۱۳۵٦ش). رشحات عين الحيات. بجهد علی أصغر معينيان. طهران: مؤسسة نوريانی.

مايل هروی، نجيب. (۱۳۷۷ش). *جامی*. طهران: طرح نو.

نظامی باخرزی، عبدالواسع. (۱۳۷۱ش). مقامات جامی. تصحيح نجيب مايل هروی. طهران: دار نشر نی.

پژوهشگاه علوم انسانی و مطالعات فرهنگی
پرتال جامع علوم انسانی